﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الزّمر: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ مولي النِّعَمِ بعدَ تأكيد سوءِ عاقبةِ مَن ظَلَم

لمّا أبطلَ ﷻ نسبةَ الإنسانِ النِّعَمَ لنفسِه، وذكرَ أنَّهُ لا دافعَ لعذابِه حينَ ينزلُ بالظّالمينَ؛ بيَّنَ مَنْ هو مولي النِّعَمِ والأرزاقِ، والمُتفضِّلُ بها[1]، إذْ " إنَّ في ذلكَ البسطِ والقبضِ لَآياتٍ دالّةً على أنّ الحوادث كلَّها منَ اللّه بلا واسطة، لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ، إذ هم المُستدلّون بها على أنّ القابض والباسط هو اللّه، دون غيره"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبْسُطُ﴾: (بسط) أصلٌ يدلُّ على امتدادِ الشَّيءِ[3]، ونَشرِهِ وتوسيعِهِ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: بسطَ الثَّوبَ، أي: نشرَهُ[4]، والبِساطُ: الأرضُ المتَّسعةُ، وبَسْطُ اليدِ: مدُّها، وهو يُستعملُ تارةً للطَّلبِ، وتارةً للأخذِ، وتارةً للضَّربِ، وتارةً للبذلِ والإعطاءِ[5]. و"في أسماءِ اللّه تعالى (الباسطُ)، هو الّذي يبسط الرّزق لعباده، ويوسّعُه عليهم بجوده ورحمته، ويبسطُ الأرواحَ في الأجساد عند الحياة"[6]. والمرادُ ببَسْطِ الرِّزقِ هنا: التَّوسعةُ فيه[7].

2) ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: (رزق) أصلٌ يدلُّ على عطاءٍ لوقتٍ، ثمَّ يُحمَلُ عليهِ غيرُ الموقوتِ[8]، فيقالُ الرِّزقُ للعطاءِ الجاري تارةً دنيويًّا كانَ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 536، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 531.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 90.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسط).
(4) الجوهري، الصّحاح: (بسط).
(5) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (بسط).
(6) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (بسط).
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 105.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رزق).

أم أُخرويًّا، وللنَّصيبِ تارةً، ولِما يصلُ إلى الجوفِ ويُتغذَّى بهِ تارةً[1].
والمرادُ بالرِّزقِ هنا: ما يقسمُهُ اللّهُ تعالى لعبادِهِ ممّا فيه بقاؤُهم وصلاحُ أمرِ دنياهُم.

3) ﴿وَيَقْدِرُ﴾: (قدر) أصلٌ يدلُّ على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِهِ ونهايتِهِ، فيقالُ: قَدْرُهُ كذا، أي: مَبْلَغُهُ[2]، ويقالُ: الأمورُ تَجْري بقَدَرِ اللّهِ ومِقْدارِهِ وتقديرِهِ وأقدارِهِ ومَقاديرِهِ[3]، ويقالُ: رجلٌ ذو قُدرةٍ ومَقْدِرةٍ، أي: يَسارٍ، يعني: أنَّهُ يَبْلُغُ بغِناهُ مِنَ الأمورِ المَبْلَغَ الَّذي يوافقُ إرادتَهُ[4]، والتَّقديرُ: تبيينُ كمّيَّةِ الشَّيءِ[5]. وقدرَ اللّه تعالى على الإنسان رزقَه: أي ضيّق، قال اللّه تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: 16]، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87]، أي: نضيِّق، ولا يجوز أن يكون منَ القدرة فيكون كفرًا؛ لأنّه تعجيزٌ للّه تعالى عن ذلك[6]، والمرادُ بـ﴿وَيَقْدِرُ﴾ هنا: يُضيِّقُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

للّهِ الخلقُ والأمرُ، وهو باسطُ الرّزق وقابضُه

يُخبرُ اللّهُ تعالى عن جهلِ المشركينَ وغَباوتِهم، فيقولُ: أوَلم يَعلم المشركونَ الَّذينَ ينسُبونَ النِّعَمَ لأنفُسِهم أنَّ الشِّدَّةَ والرَّخاءَ والسَّعةَ والضّيقَ بيدِ اللّهِ وحدَهُ، يوسِّعُ على مَنْ يشاءُ في الرِّزقِ، ويُضيِّقُ على مَنْ يشاءُ فيه، وفي ذلكَ دلالاتٌ وعلاماتٌ لقومٍ يُصدِّقونَ بالحقِّ، تدلُّهم على أنَّهُ لا تصرُّفَ في الكونِ والخلقِ لغيرِ اللّهِ[8].

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (رزق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (قدر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(5) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(6) الحميري، شمس العلوم: (قدر).
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 459، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 187.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 305، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 536.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستفهامِ في السّياق:

لا يغفلَ عن حكمةِ الرَّزّاقِ الودود، إلّا جاهلٌ كنودٌ

الاستفهامُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ ليسَ على حقيقتِهِ، بلِ المرادُ بهِ الإنكارُ، أُنكِرَ عليهِم عدمُ علمِهم بأنَّ اللهَ ﷻ هو الَّذي بيدِه الأرزاقُ، وهو يَقسِمُها على وفْقِ مشيئتِهِ وحكمتِهِ، وفي هذا الإنكارِ توبيخٌ لهُم أيضًا[1].

«واقتُصِر في الإنكار على إنكار انتفاءِ العلم بأنَّ بَسْطَ الرِّزق وقَدرَه مِن فعل الله تعالى؛ لأنَّه أدنى لمشاهدتهم أحوالَ قومهم، فَكَمْ مِن كادٍّ غيرِ مرزوق، وكَمْ مِن آخرَ يجيئه الرِّزقُ مِن حيث لا يحتسبُ»[2].

بلاغةُ عطفِ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾:

انتفاءُ العلمِ معَ ظهورِ الدَّلائلِ وصفٌ مُلازمٌ لكلّ جاهلٍ

يحتملُ أنْ تكونَ الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ووجهُ العطفِ: أنَّهُ تعالى بعدَ أنْ وصفَ أكثرَهم بانتفاءِ العلمِ بأنَّ التَّخويلَ فتنةٌ وابتلاءٌ لهُم، عطفَ عليهِ إنكارَ انتفاءِ علمِهم بأنَّ أمرَ الرِّزقِ بيدِ اللهِ، وإنكارَ إهمالِهم النَّظرَ في الأدلَّةِ المفيدةِ للعلمِ، حتَّى بقوا في جهالةٍ مركَّبةٍ، وكانَ الشَّأنُ أنْ يعلموا أنَّ اللهَ يبسطُ الرِّزقَ لِمَنْ يشاءُ ويقدرُ[3]. ويحتملُ أنْ تكونَ الواوُ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةٍ محذوفةٍ، والتَّقديرُ: أقالوها ولم يعلموا؟! إلخ، أو: أغفَلوا ولم يعلموا؟! إلخ[4].

غرضُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ، في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 548، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 38.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 38.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 38.
(4) الجمل، حاشية على الجلالين: 6/ 439، واطفّيش، تفسير اطفّيش: 9/ 182.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ عدمِ العلمِ، وأنَّ المشركينَ غارقونَ في غفلتِهم وجهلِهم، بأنَّ الرِّزقَ بيدِ اللهِ، بحيثُ لا يُرجَى انتباهُهم مِنْ غفلتِهم، إلّا مَنْ شاءَ اللهُ تعالى لهُ الهدايةَ بعدَ ذلكَ، واستمرارُ جهلِهم وتجدُّدُهُ، هو سببُ توبيخِهم والإنكارِ عليهِم.

الكافرُ غارقٌ في الجهالة، وجاحدٌ لرزق الله ذي الجلالة

سرُّ التَّعبيرِ بالعلمِ دونَ الرُّؤيةِ:

عُبِّرَ بالعلمِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾، ولم يُعبَّرْ بالرّؤيةِ كما في قولِهِ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرّوم: 37]؛ لمناسبةِ نفي العلمِ عنِ الأكثرِ في قولِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ولأنَّ مقصودَ السّورةِ بيانُ أنَّهُ تعالى صادقُ الوعدِ، ومطلقُ العلمِ كافٍ فيه، بخلافِ ما مضَى في الرّوم[1].

يقينُ وعدِ اللهِ للعباد، بكونه لا يُخلفُ الميعادَ

نكتةُ التَّوكيدِ في السّياقِ المجيدِ:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ بـ﴿أَنَّ﴾ واسميَّةِ الجملةِ؛ لتأكيدِ كونِ التَّوسعةِ في الرِّزقِ والتَّضييقِ فيه بيدِ اللهِ تعالى، لا بيدِ المُنعَمِ عليهِم مِنَ العبيدِ، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ توبيخِ المشركينَ على جهلِهم، وقطعٌ لكلِّ رجاءٍ تعلَّقَ بغيرِ اللهِ تعالى.

مفاتحُ الخيرِ بيدِ اللهِ، ولا باسطَ للرّزقِ سواه

غرضُ تقديمِ المُسنَدِ إليهِ على المُسنَدِ الفعليِّ:

قُدِّمَ المُسنَدُ إليهِ ﴿ٱللَّهَ﴾ على المُسنَدِ الفعليِّ ﴿يَبۡسُطُ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ لإفادةِ الحصرِ المناسبِ للرَّدِّ على مَنْ زعمَ مِنَ النّاسِ أنَّ النِّعَمَ تكونُ بكسبِهِ وعلمِهِ، أي: أوَلم يعلموا أنَّ اللهَ لا غيرَهُ يبسطُ الرِّزقَ... إلخ[2]، وهذا يتضمَّنُ تقوّيَ الحكمِ أيضًا، أي: تقوّيَ نسبةِ البَسْطِ والقَدْرِ لهُ ﷻ.

إفادةُ حصرِ تدبيرِ الرِّزقِ في اللهِ وحدَهُ، أنّه لا رازقَ غيرُه

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ دونَ غيرِهِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.

تدبيرُ شؤونِ الأرزاقِ، بيدِ اللهِ الرّزّاقِ

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾؛ لأنَّهُ الاسمُ الأعظمُ الدّالُّ على جميعِ صفاتِ الجلالِ والكمالِ والجمالِ[1]، فيكونُ أنسبَ بمقامِ التَّنصيصِ على كونِ اللهِ تعالى هو المُتولّيَ تدبيرَ شؤونِ الرِّزقِ الَّتي تقتضي القدرةَ التّامَّةَ، والحكمةَ البالغةَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

كونُ الرِّزقِ بيدِ اللهِ باستمرارٍ مناسبٌ للمضارعيّة

جيءَ بالأفعالِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ مضارعةً؛ للتَّنبيهِ على أنَّ أمرَ الرِّزقِ توسعةً وتضييقًا، بيدِ اللهِ تعالى على الاستمرارِ والتَّجدُّدِ، وفي ذلكَ تأكيدٌ لإقامةِ الحُجَّةِ على مَنْ ينسبُ النِّعَمَ لنفسِهِ، وزرعٌ للطُّمأنينةِ في قلوبِ أهلِ الإيمانِ والعلمِ، حيثُ يوقنونَ أنَّ رزقَهم بيدِ اللهِ تعالى، وهو يرزقُهم كما يشاءُ على وفْقِ حكمتِهِ، ومَنْ ضُيِّقَ عليهِ اليومَ فقد يوسَّعُ عليهِ غدًا، ولن تموتَ نفسٌ حتَّى تستوفيَ رزقَها.

نكتةُ تقديمِ البَسْطِ على القَدْرِ:

اليُسرُ غالبٌ للعُسرِ، والبسطُ سابقٌ للقبضِ

قُدِّمَ البَسْطُ على القَدْرِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ تغليبًا لجانبِ اليُسْرِ على جانبِ العُسْرِ؛ ليزدادَ الموقنونَ بفضلِ اللهِ إيقانًا، ولأنَّ الكفرةَ قد أعماهُم ما هُم فيهِ مِنَ النِّعَمِ عنِ التَّدبُّرِ فيها، ونسبتِها إلى المُنعِمِ الحقيقيِّ بها، فنسبوها لأنفُسِهم، فقُدِّمَ البَسْطُ الَّذي نسبوا أثرَهُ لأنفُسِهم؛ للمسارعةِ إلى بيانِ أنَّهُ بيدِ اللهِ لا بأيديهِم.

نكتةُ تعريفِ الرِّزقِ في السّياقِ المُحكَمِ:

الرِّزقُ بيدِ اللهِ الكريمِ، وتصريفُه بتقديرِه الحكيمِ

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ الرِّزقِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ للجنسِ المُستغرِقِ لجميعِ أفرادِهِ، فجميعُ الأرزاقِ بيدِ اللهِ تعالى، يُدبِّرُها كيفَ يشاءُ، فينبغي أن تتوجَّهَ القلوبُ إلى الرَّزّاقِ ذي القوَّةِ المتينِ، ولا تتعلَّقَ بمخلوقٍ ضعيفٍ، لا يملكُ لنفسِهِ ضَرًّا ولا نفعًا.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.

معنى اللّامِ في ﴿لِمَن﴾:

اللّامُ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ للتَّعليلِ، والمعنى: يبسطُ الرِّزقَ لأجلِ مَنْ يشاءُ." أي: يوسّعُه لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ؛ أي: يضيّقُ لمَن يشاء بلا سبب ولا علّة، أو: يجعلُه على قدر القوت من غير زيادة ولا نقصان، وهو من إتمام النّعمة. وفي الحِكَم: (من تمام النّعمة عليك، أن يعطيَك ما يكفيك، ويمنعَك ما يُطغيك)[1].

الـــرِّزقُ لأجـلِ الأنـــام، تفضّلَ مـــنَ الـلـــه ذي الجلال والإكرام

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ (مَنْ):

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾؛ للدَّلالةِ على العموم، فيشملُ كلَّ مَنْ تعلَّقَتْ مشيئةُ اللّهِ تعالى ببسطِ الرِّزقِ لهُ، صالحًا كانَ أو طالحًا، ويلزمُ مِن انتفاءِ علمِهم بذلكَ أنَّهم توهَّموا بَسْطَ الرِّزقِ علامةً على القُرْبِ مِنَ اللّهِ، وضدَّهُ علامةً على البُعدِ عنهُ. وفي الكلامِ أيضًا إيماءٌ إلى افتقارِ الخلقِ جميعًا إلى اللّهِ ﷻ، وأنَّهم موقوفونَ على ربوبيَّتِهِ ومشيئتِهِ.

الخلقُ موقوفونَ على مشيئةِ اللهِ تعالى وربوبيَّتِهِ

براعةُ عطفِ جملة ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على قولِهِ: ﴿يَبْسُطُ﴾؛ للتَّنصيصِ على أنَّ كلَّ ما يتعلَّقُ بالرِّزقِ بيدِ اللّهِ تعالى، فلا يوسَّعُ على عبدٍ إلّا بمشيئةِ اللّهِ، ولا يُضيَّقُ على عبدٍ إلّا بمشيئةِ اللّهِ، فأنَّى للإنسانِ أنْ يدَّعيَ أنَّهُ أوتيَ ما أوتيَ على علمٍ عندَهُ؟!

القَبْضُ والبَسْطُ للهِ وحـدَهُ دون سواه

بلاغةُ حذفِ متعلَّقِ ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

حُذِفَ متعلَّقُ الفعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ إيجازًا؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ، والمعنى: ويَقدِرُه – أي: الرِّزقَ – لِمَنْ يشاءُ[2]." أي يقبضُه على مَن يشاء أن يقبضَه، ويضيّقَه عليه، وإن كان قويًّا شديدَ الحيلة ابتلاه، وقيل: يجعلُه على قدر قوتٍ، قال مقاتل: وعَظَهم اللّه؛ ليعتبروا

أثـرُ الاستغناءِ بدلالةِ السّياقِ، عن ذكرِ المفعولِ

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 90، وابن عطاء الله، حكم ابن عطاء الله، ص: 37.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 259.

في توحيده، وذلك حين مُطروا بعد سبع سنينَ، فقال: أولم يعلموا أنّ اللّه يوسّعُ الرّزق لمن يشاء؟ ويقتّرُ على من يشاء؟ فلا قابضَ ولا باسطَ إلّا اللّه تعالى"[1].

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ البَسْطِ والقَدْرِ:

البسطُ والقبضُ يأتيان على مُقتضى مشيئةِ الرّحمن

في الجمعِ بينَ البَسْطِ والقَدْرِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ رِعايةٌ لمُحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباقُ، بذكرِ صورةِ البَسْطِ وصورةِ القَدْرِ، وإظهارِ أنَّ كلًّا منهما بيدِ اللّهِ ﷻ، فيدركُ العاقلُ أنَّ العُسْرَ واليُسْرَ بأمرِ اللّهِ وقدرتِهِ.

علَّةُ فصلِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾:

في شؤونِ الأرزاقِ عِبْرةٌ للعُقَلاءِ الحُذّاق

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ لتأكيدِ ما تضمَّنَهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ مِنْ أنَّ في بَسْطِ الرِّزقِ وقَدْرِهِ عِظَةً وعِبْرةً لكلِّ عاقلٍ.

بلاغةُ توالي المؤكِّداتِ في السّياق:

الغافلُ بمنزلةِ المُنكِرِ، إذْ لا يُعذرُ الجاهلُ بجهلِه

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾ واللّام المزحلَقةِ واسميَّةِ الجملةِ؛ للاعتناءِ بمضمونِهِ، ولأنَّ أفعالَهم أفعالُ مَنْ يُنكِرُ أنْ يكونَ في بَسْطِ الرِّزقِ وقَدْرِهِ عِبْرةٌ[2]، فاحتاجوا إلى الإيقاظِ والتَّنبيهِ مِنْ غفلتِهم.

غرضُ تقديمِ شبْهِ الجملةِ ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾:

محلُّ العِبْرةِ أحقُّ بالتَّقديمِ في السّياقِ الحكيم

قُدِّمَ ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ على ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ، والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ، وهو الآياتُ، وللمسارعةِ في التَّنبيهِ على محلِّ العِظَةِ والعِبْرةِ؛ إذْ" إنّ مرجع ذلك، عائدٌ إلى الحكمة والرّحمة، وأنّه أعلمُ بحال عبيده، فقد يضيّقُ عليهم الرّزقَ

(1) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 12/ 129.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.

لطفًا بهم، لأنّه لو بسطَه لبغَوا في الأرض، فيكون تعالى مراعيًا في ذلك صلاحَ دينهم الّذي هو مادّةُ سعادتِهم وفلاحِهم"[1].

معنى الحرفِ ﴿فِي﴾ في السّياق:

لمّا كانَ في بَسْطِ الرِّزقِ وقَدْرِهِ علاماتٌ للمؤمنينَ، دالَّةٌ على قدرةِ اللهِ تعالى وتفرُّدِهِ بالرُّبوبيَّةِ؛ عُبِّرَ بحرفِ الجرِّ الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ، فقيلَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾، فأفادَ الكلامُ أنَّ البَسْطَ والقَدْرَ بمنزلةِ المَعْدِنِ للعِبَرِ والعِظاتِ الَّتي تفيضُ منهما.

البَسْطُ والقَدْرُ ظرفٌ للعِبَرِ البيّنات، بالدّروس والعِظاتِ

وجهُ إفرادِ اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

أُفرِدَ اسمُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ معَ أنَّهُ راجعٌ إلى أمرينِ اثنينِ - وهما البَسْطُ والقَدْرُ - لأنَّ المشارَ إليهِ بتقديرِ المذكورِ، والمعنى: إنَّ في المذكورِ فيما مضَى لَآياتٍ[2].

المشارُ إليهِ بتقديرِ المذكورِ، مُفصحٌ عنِ المعنى المراد

بلاغةُ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عُبِّرَ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ المشارِ إليهِ - وهو بَسْطُ الرِّزقِ وقَدْرُهُ - إذ رِفعةُ الشَّأنِ تتنزَّلُ منزلةَ البُعدِ الحسّيِّ، والمعنى: إنَّ في ذلكَ الأمرِ العظيمِ لَآياتٍ[3].

عظمةُ شأنِ بَسْطِ الرِّزقِ وقَدْرِهِ، من بليغِ الدّلالةِ على هذا المعنى

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ (آياتٍ):

عُبِّرَ بالآياتِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ لدلالةِ الآيةِ بحسَبِ معناها اللُّغويِّ على العلامةِ، فتدلُّ الآياتُ هنا على أنَّ في بَسْطِ الرِّزقِ وقَدْرِهِ علاماتٍ دالَّةً على أنَّ الحوادثَ كلَّها مِنَ اللهِ ﷻ[4].

الحوادثُ كافَّةً مِنَ اللهِ ﷻ، فلا اعتراضَ على تقديره

نكتةُ جمعِ الآياتِ وتنكيرِها:

نُكِّرَتِ الآياتُ وجُمِعتْ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 727.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 259.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 259.

في أحوالِ الرِّزقِ آياتٌ كثيرةٌ، ودلائلُ أثيرةٌ

﴿لَآيَٰتٍ﴾؛ للدَّلالةِ على كثرتِها وتعدُّدِها وتنوُّعِها؛ لأنَّ اختلافَ أحوالِ الرِّزقِ الدّالَّةِ على أنَّ التَّصرُّفَ بيدِ اللهِ، يُنبئُ عن بقيَّةِ الأحوالِ، فتحصَّلَ في ذلكَ آياتٌ كثيرةٌ، دالَّةٌ على انفرادِ اللهِ تعالى بالتَّصرُّفِ في نفسِ الأمرِ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ (القومِ):

الإيمانُ في المؤمنينَ، ضمانٌ لوصْلِهم بالكريمِ الرّزّاقِ

عُبِّرَ بقولِهِ تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دونَ أنْ يقالَ: (للَّذينَ يؤمنونَ)، أو (للمؤمنينَ)؛ لأنَّ إجراءَ وصفِ الإيمانِ على لفظِ (قوم) يومِئُ إلى أنَّ ذلكَ الوصفَ سجيَّةٌ فيهم، ومِنْ مُكمِّلاتِ قوميَّتِهم؛ فإنَّ للقبائلِ والأممِ خصائصَ تُميِّزُها عن غيرِها، وتشتهرُ بها، "وإنّما خَصَّ المؤمنين؛ لأنّهمُ المنتفعون بالآيات، المتفكّرون فيها، ثمّ لمّا ذكر سبحانه ما ذكره منَ الوعيد، عقبَه بذِكْر سَعة رحمتِه، وعظيم معرفتِه"[2].

دلالةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

بيانُ أنّ إيمانَ المؤمنِ مُستمِرٌّ ومتجدّدٌ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ على تجدُّدِ الإيمانِ واستمرارِهِ في كلِّ وقتٍ، وهذا هو شأنُ الإيمانِ النّافعِ عندَ اللهِ تعالى[3]. قال القاسميّ: "إنّه تعالى قويٌّ بذاته، له تقويّةُ مَن يشاء، وتضعيفُ مَن يشاء، ومنها أنّه فيّاضٌ بذاته، لا يتوقّف فيضُه على الشّفعاء. ومنها أنّه فاعلٌ بذاته لا يتوقّف فعلُه على سبب وواسطة"[4].

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

الإيمانُ ثقةٌ بأنَّ اللهَ مالكُ الأمرِ، وواجبُ الإيمانِ بقيّوميّته

حُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إيجازًا؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ، والمعنى: يؤمنونَ بأنَّ الحوادثَ كلَّها مِنَ اللهِ تعالى[5]، أو يؤمنونَ بأنَّهُ لا قابضَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 39.
(2) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان: 12/ 129.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 532.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 293.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46.

ولا باسطَ إلّا اللّهُ ﷻ[1]، ولمراعاةِ الفاصلةِ أيضًا. ويحتملُ أنْ يكونَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ المُتعدّي قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ، وجُعِلَ مدارُ الاهتمامِ اتِّصافَهم بالإيمانِ بصرفِ النَّظرِ عنِ المُؤمَنِ بهِ، والمعنى: لقومٍ يتَّصفونَ بالإيمانِ.

سرُّ تخصيصِ المؤمنينَ بالذِّكرِ:

اللّفظُ مُناطٌ بالإفصاحِ عنِ الدّلالةِ المطلوبةِ

خُصَّ المؤمنونَ بالذِّكرِ في قولِهِ تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّهم همُ الَّذينَ يتدبَّرونَ الآياتِ، وينتفعونَ بها، ويعلمونَ أنَّ سَعَةَ الرِّزقِ قد تكونُ مكرًا واستدراجًا، وتقتيرَهُ قد يكونُ رِفعةً وإعظامًا[2]، وأمّا الكافرونَ فهم غافلونَ عنِ الآياتِ والبيِّناتِ[3].

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 187.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 267.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 548.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»